وقد انشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر يا ليتني مثلك في البياض ابيض من اخت بني اباض
وانشدوا ايضا اما الملوك فانت اليوم الامهم لؤما وابيضهم سربال طباخ فاما
البيت الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ الشاذ لا يطعن في
المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في
البيت الثاني ان ابيض فيه ليس هو الذي للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلى كقولك
ابيض وبيضا ويجري ذلك مجرى قولهم هو احسن الناس وجها واشرفهم خلقا فكانّ
الشاعر قال ومبيضهم فلما اضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على
الشذوذ ويمكن فيه وجه اخر وهو ان ابيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو
في المعنى كناية عن اللوم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه اراد بابيضهم بياض
الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظه افعل فالذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ما
ذكرناه فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له لانت اسود في عيني من الظلم
فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ثم قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال
حر من الاحرار ولئيم من اللئام اي من جملتهم وقال الشاعر وابيض من ماء الحديد كانه
شهاب بدا والليل داج عساكره كانه قال وابيض كاين من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف
لابيض وليس متصلا به كاتصال من بافضل في قولك هو افضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي
مرفوعة الموضع لانها وصف لاسود واذا اريدت المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع
باسود كما تقول زيد خير منك فمنك في موضع نصب بخير كانه قال خارك اي فضلك في
الخير وهذا التاويل المذكور في بيت المتنبي يمكن ان يقال في قول الشاعر ابيض من اخت بني
اباض ويحمل على انه اراد من جملتها ولم يرد التعجب وتاوله على هذا الوجه اولى من
حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي ابعد بعدت بياضا لا بياض له فالمعنى الظاهر للناس
فيه انه اراد لا ضوء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقضي الاجل
وهذا لعمري معنى ظ الا انه يمكن فيه معنى اخر لان البياض اخر الوان الشعر فجعل قوله
لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده وانما سوغ ذلك
له ان البياض هو الاتي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض كان نفيا لان يكون
بعده لون وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تع ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة
اعمى فقرا ابن كثير ونافع وابن عباس بفتح الميمين معا وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة
والكسائي بكسر الميم فيهما معا وفي رواية حفص بكسرهما وكسر ابو عمرو الاولى وفتح
الاخيرة ولكل وجه اما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيرا من العرب

لا يميلون

وهو ان يريد انك بياض لا لون بعده صح

ابن عامر عن عاصم صح

لا يميلون هذه الفتحة ومن امال الجميع فوجهه قوله انه ينحو بالالف نحو اليا ليعلم انها
تنقلب الى اليا واما قراءة ابي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل
من كذا مثل افضل من فلان واذا جعلها كذلك لم تقع الالف في اخر الكلمة لان اخرها انما
هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من افعل الذي هو التفضيل الجار والمجرور
وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعم فانه يعلم السر واخفى المعنى واخفى
من السر وكذلك قوله وهو في الاخرة اعمى اي اعمى منه في الدنيا واعمى من غيره ويقوي هذه
الطريقة ما عطف عليه من قوله تعم واضل سبيلا فكما ان هذا لا يكون الا على افعل من كذا كذلك
المعطوف عليه تاويل خبر روى ابو هريرة عن النبي صلعم انه قال تقي الارض افلاذ كبدها
مثل الاسطوان من الذهب والفضة فيجي القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجي القاطع للرحم
ويقول في مثل هذا قطعت رحمي ويجي السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه لا
ياخذون منه شيئا ومعنى تقي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة
وقوله تقي تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واظهارا وكذلك تسمية ما في الارض من
الكنوز كبدا تشبيها بالكبد الذي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف قال
مرة بن محكان السعدي يصف قدرا نصبها للاضياف لها ازيز يزيل اللحم ازملة
عن العظام اذا ما استحمشت غضبا ترمي الصلاة بنبل غير طائشة وفقا اذا انست من تحتها لهبا
فوصفها بالغضب تشبيها واستعارة فاما الازيز فهو الغليان والعرب تقول بجوفه ازيز
كازيز المرجل والازمل الصوت واستحمشت اي غضبت يقال احمشه اي اغضبه قال النابغة الجعدي
في معنى الاستعارة سالتني عن اناس هلكوا شرب الدهر عليهم واكل فوصف الدهر بالشرب
والاكل تشبيها واستعارة وقال قوم معنى البيت شرب اهل الدهر عليهم بعدهم واكلوا
واختلف اهل اللغة في الافلاذ فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة
من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال اعطني فلذا من الكبد قال اعشى باهلة
تكفيه حزة فلذ ان الم بها من الشواء ويروي شربه الغمر والغمر القدح الصغير
قال يعقوب ولا يقال اعطني حزة من سنام ولا من لحم وانما الحزة في الكبد خاصة فاذا
ارادوا ذلك من السنام واللحم قالوا اعطني جذبة من لحم وهي القطعة الصغيرة وفلقة
من سنام قال الطوسي عن ابي عبيد عن الاصمعي يقال اعطني جذبة من لحم وحزة من لحم اذا
كانت مقطوعة طولا فاذا كانت مجتمعة قال اعطني بضعة من لحم وفدرة من لحم وهبرة من
لحم ومثل هذا الحديث قوله تعم واخرجت الارض اثقالها معناه اخرجت ما فيها من الكنوز

تقي الارض افلاذ كبدها

يروى صح

Copyright © King Saud University